

أُمّ الخف

أُم الخف

كَانَ لِطَحَّانٍ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ ، فَلَمَّا دَقَّتْ سَاعَةُ وَفَاتِهِ دَعَا إِلَيْهِ أَوْلَادَهُ وَقَالَ لَهُمْ : قَبْلَ مَوْتِي أَتْرُكُ لِكَبِيرِكُمُ ٱلطَّاحُونَ ، وَلِلثَّانِي ٱلْحِمَارَ . أَمَّا صَغِيرُكُمْ فَتَكُونُ «أُمُّ ٱلْخُفِّ» أَيِ ٱلْهِرُّ نَصِيبَهُ . وَلَمَّا مَاتَ أَبُوهُمْ بَكَوْهُ وَدَفَنُوهُ ثُمَّ ٱجْتَمَعُوا لِلتَّشَاوُرِ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ ٱلْبِكْرُ : أَنَا أَبْقَى فِي ٱلْبَيْتِ أُدَوِّرُ ٱلطَّاحُونَ . وَتَأْخُذُ أَنْتَ يَا «بُولُسُ» ٱلْحِمَارَ تَرْتَزِقُ بِهِ وَيَذْهَبُ «أَسْعَدُ» بِٱلْهِرِّ فِي طَلَبِ ٱلْغِنَى .



ثُمَّ جَمَعَ ٱلْإِخْوَةُ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ ٱلثِّيَابِ وَٱلْمَآكِلِ وَٱقْتَسَمُوهُ، وَوَضَعَ ٱلصَّغِيرُ نَصِيبَهُ فِي بُقْجَةٍ وَوَدَّعَ أَخَوَيْهِ. وَلَمَّا أَرَادَ ٱلذَّهَابَ بِٱلْهِرِّ أَبَى أَنْ يَتْرُكَ ٱلْبَيْتَ. فَرَبَطَهُ بِمَرَسَةٍ وَجَرَّهُ وَرَاءَهُ وَسَارَ «أَسْعَدُ» وَٱلْهِرُّ لَا يَدْرِيَانِ أَيْنَ يَقْصِدَانِ. وَمَا زَالَا سَائِرَيْنِ «وَأَسْعَدُ» يَأْكُلُ مِنْ زَادِهِ وَٱلْهِرُّ يَصْطَادُ ٱلْحَشَرَاتِ وَٱلْعَصَافِيرَ حَتَّى بَلَغَا مَرْجًا وَاسِعَ ٱلْأَرْجَاءِ بِٱلْقُرْبِ مِنْ رَابِيَةٍ عَلَيْهَا قَصْرٌ عَظِيمٌ.



جَلَسَ «أَسْعَدُ» فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ وَأَخَذَ يُفَكِّرُ فِي سُوءِ حَالِهِ. وَرَاحَ ٱلْهِرُّ يَدُورُ مِنْ هُنَا وَهُنَاكَ. ثُمَّ عَادَ فَأَخْبَرَ صَاحِبَهُ أَنَّ تِلْكَ ٱلْأَرْضَ ٱلْوَاسِعَةَ وَذٰلِكَ ٱلْقَصْرَ ٱلْعَظِيمَ هُمَا لِغُولٍ سَاحِرٍ. ثُمَّ قَالَ ٱلْهِرُّ: رَأَيْتُ خَادِمَهُ ذَاهِبًا إِلَى ٱلْقَرْيَةِ لِيُصْلِحَ جَزْمَةَ ٱلْغُولِ. وَهِيَ مَسْحُورَةٌ فَلَا بُدَّ مِنَ ٱلِٱسْتِيلَاءِ عَلَيْهَا. فَأَسْرَعَا وَوَصَلَا إِلَى دُكَّانِ ٱلْإِسْكَافِ قَبْلَ ٱلْخَادِمِ.



وَمَا إِنْ وَصَلَ ٱلْخَادِمُ حَتَّى ٱقْتَرَبَ ٱلْهِرُّ مِنْهُ. وَقَالَ لَهُ إِنَّهُ صَانِعُ ٱلإِسْكَافِ. فَسَلَّمَهُ ٱلْجَزْمَةَ عَلَى أَنْ يَرْجِعَ بَعْدَ سَاعَةٍ أَوْ سَاعَتَيْنِ فَيَأْخُذَهَا بَعْدَ إِصْلَاحِهَا، وَقَالَ لَهُ، حَذَارِ أَنْ تُضِيعَهَا فَإِذَا ضَاعَتْ قَتَلَنِي ٱلْغُولُ. وَهُوَ سَاحِرٌ مَاهِرٌ يُكَبِّرُ ٱلْجَزْمَةَ وَيُصَغِّرُهَا. وَهُوَ يَسْتَطِيعُ عَدَا ذٰلِكَ أَنْ يَتَحَوَّلَ إِلَى أَيِّ حَيَوَانٍ كَانَ. ـ ثُمَّ مَضَى ٱلْخَادِمُ وَٱسْتَعَانَ ٱلْهِرُّ «بِأَسْعَدَ» عَلَى لُبْسِ ٱلْجَزْمَةِ.



وَسَارَ ٱلْهِرُّ وَٱلْغُلَامُ حَتَّى دَخَلَا فِي أَرْضٍ مَلْأَى بِٱلْأَرَانِبِ، فَأَخَذَ «مِيشُو» ـ وَهُوَ ٱسْمُ ٱلْهِرِّ ـ كِيسًا كَانَ قَدْ جَاءَ بِهِ، فَحَشَاهُ مِنْ وَرَقِ ٱلْمَلْفُوفِ، ثُمَّ وَضَعَهُ فِي ٱلْحَقْلِ. وَمَرَّتْ أَرْنَبٌ فَرَأَتْهُ وَدَخَلَتْ فِيهِ، فَشَدَّ ٱلْهِرُّ بِحَبْلٍ فَٱنْطَبَقَ ٱلْكِيسُ عَلَيْهَا. وَحَمَلَ ٱلْهِرُّ ٱلْكِيسَ عَلَى كَتِفِهِ وَأَمَرَ ٱلْجَزْمَةَ أَنْ تُسْرِعَ بِهِ، فَمَا كَانَ إِلَّا كَطَرْفَةِ عَيْنٍ حَتَّى بَلَغَتْ مَدِينَةَ ٱلْمَلِكِ «بَاشِينَا» وَقَدَّمَ لَهُ ٱلْأَرْنَبَ وَقَالَ:



أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلسَّعِيدُ. يُقْرِئُكَ سَيِّدِي ٱلْأَمِيرُ «ٱلْأَسْعَدُ» سَلَامَهُ، وَيُقَدِّمُ لَكَ هٰذِهِ ٱلْأَرْنَبَ هَدِيَّةً. فَقَالَ ٱلْمَلِكُ، هَدِيَّةٌ فَاخِرَةٌ وَأَمِيرٌ كَرِيمٌ. ثُمَّ قَالَ لِٱبْنَتِهِ «كَوْكَب»، مَا رَأْيُكِ يَا «كَوْكَب»؟ قَالَتْ، رَأْيِي رَأْيُ سَيِّدِي ٱلْمَلِكِ. قَالَ، لَا بُدَّ مِنْ إِحْضَارِ ٱلْأَمِيرِ إِلَيْنَا. وَكَانَ ٱلْمَلِكُ يَوْمًا يَتَنَزَّهُ بِمَرْكَبَةٍ عَلَى شَاطِئِ بُحَيْرَةٍ فَسَمِعَ صَوْتَ ٱسْتِغَاثَةٍ فَأَطَلَّ مِنَ ٱلنَّافِذَةِ وَرَأَى ٱلْهِرَّ «مِيشُو» وَهُوَ يَرْكُضُ، فَقَالَ لَهُ،



مَا وَرَاءَكَ يَا «مِيشُو» ؟ قَالَ، صَانَ ٱللهُ جَلَالَةَ ٱلْمَلِكِ. كَانَ سَيِّدِي ٱلْأَمِيرُ «ٱلْأَسْعَدُ» يَسْتَحِمُّ فِي ٱلْبُحَيْرَةِ وَقَـدْ نَشَرَ ثِيَابَهُ عَلَى ٱلشَّاطِئِ فَجَاءَ لِصٌّ وَسَرَقَهَا . فَلَمْ يَتَرَدَّدِ ٱلْمَلِكُ فَعَرَّى أَحَدَ خَدَمِهِ مِنْ ثِيَابِهِ ٱلْفَاخِرَةِ فَلَبِسَهَا «ٱلْأَسْعَدُ» وَظَهَرَ فِيهَا عَلَى غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنَ ٱلْجَمَـالِ. ثُمَّ ٱقْتَرَبَ مِنَ ٱلْأَمِيرَةِ، وَقَبَّلَ يَدَهَا، فَأَخَذَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهَا وَقَدْ مَلَأَ ٱلْحُبُّ قَلْبَيْهِمَا .



وَلَمَّا مَرَّتِ ٱلْمَرْكَبَةُ بِٱلْمَدِينَةِ وَفِيهَا ٱلْأَمِيرُ وَٱلْمَلِكُ أَخَذَ ٱلْأَهَالِي يُحَيُّونَهُ وَيَهْتِفُونَ لَهُ... ثُمَّ قَالَ ٱلْهِرُّ فِي نَفْسِهِ، بَقِيَ عَلَيَّ أَمْرُ ٱلْغُولِ. وَأَمَرَ جَزْمَتَهُ فَطَارَتْ كَٱلْبَرْقِ إِلَى بَيْتِ ٱلْغُولِ. فَصَاحَ بِهِ ٱلْغُولُ صَيْحَةً عَظِيمَةً، يَا لِصُّ، يَا سَارِقَ ٱلْجَزْمَةِ. قَالَ ٱلْهِرُّ، أَنَا مَا سَرَقْتُهَا. إِنَّمَا رَقَعْتُهَا لَكَ وَقَدْ جِئْتُ بِهَا إِلَيْكَ، بَعْدَ مَا ضَلَلْتُ ٱلطَّرِيقَ.



قالَ ٱلْغُولُ، سَتَنالُ جَزاءَ إِهْمالِكَ فَأَطْبُخُكَ يَخْنَةً وَآكُلُكَ إِنْ شاءَ ٱللهُ. قالَ ٱلْهِرُّ، لٰكِنّي أُحِبُّ أَنْ أَعْرِفَ، قَبْلَ مَوْتي، هَلْ في ٱسْتِطاعَتِكَ، كَما قيلَ لي، أَنْ تَتَحَوَّلَ إِلَى أَيِّ حَيَوانٍ كانَ. أَتَنْقَلِبُ حَتَّى أَسَدًا؟ قالَ ٱلْغُولُ، كَيْفَ لا! وَفي ٱلْحالِ تَمْتَمَ بَعْضَ كَلِماتٍ سِحْرِيَّةٍ، وَٱهْتَزَّ ٱهْتِزازَةً فَإِذا هُوَ أَسَدٌ عَظيمٌ لَهُ صَوْتٌ غَليظٌ وَعَيْنانِ هائِلَتانِ.



فَتَظَاهَرَ ٱلْهِرُّ بِٱلْخَوْفِ وَصَاحَ : وَاأُمَّاهُ! ثُمَّ قَالَ : وَهَلْ فِي وُسْعِكَ أَنْ تَتَحَوَّلَ مِنْ أَسَدٍ إِلَى فَأْرَةٍ؟ قَالَ ٱلْغُولُ : لَيْسَ أَيْسَرَ عَلَيَّ مِنْ هٰذَا. وَزَأَرَ وَجَأَرَ بِبَعْضِ كَلِمَاتٍ سِحْرِيَّةٍ فَإِذَا هُوَ فَأْرَةٌ. فَوَثَبَ عَلَيْهَا ٱلْهِرُّ وَٱلْتَقَمَهَا دَفْعَةً وَاحِدَةً، وَقَالَ : هِرٌّ ذَكِيٌّ خَيْرٌ مِنْ غُولٍ لَا عَقْلَ لَهُ. ثُمَّ دَعَا ٱلْخَادِمَ وَأَنْبَأَهُ بِمَوْتِ ٱلْغُولِ، وَبِأَنَّهُ يَرِثُ أَمْوَالَ ٱلْغُولِ وَأَمْلَاكَهُ.



ثُمَّ جَرَدَ «مِيشُو» ٱلثَّرْوَةَ وَٱلْأَمْوَالَ وَأَقَامَ ٱلْخَادِمَ وَكِيلًا عَلَيْهَا وَقَالَ لَهُ إِنَّ سَيِّدَهُ ٱلْجَدِيدَ سَيَأْتِي إِلَى ٱلْقَصْرِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَسْتَعِدَّ لِٱسْتِقْبَالِهِ. ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ وَٱلْتَقَى خِفْيَةً بِسَيِّدِهِ «ٱلْأَسْعَدِ» وَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ. وَلَمْ يَمْضِ أُسْبُوعٌ عَلَى ذٰلِكَ حَتَّى ٱجْتَازَتِ ٱلْمَدِينَةَ مَرْكَبَةٌ فَاخِرَةٌ وَظَلَّتْ سَائِرَةً حَتَّى بَلَغَتْ قَصْرَ ٱلْغُولِ فَنَزَلَ مِنْهَا ٱلْمَلِكُ وَٱلْأَمِيرَةُ «كَوْكَب» وَٱلْأَمِيرُ «ٱلْأَسْعَدُ» وَصَعِدُوا إِلَى ٱلْقَصْرِ.



فَلَمَّا دَخَلَ مَوْكِبُ ٱلْمَلِكِ هَتَفَ لَهُ ٱلْخَدَمُ وَٱلْحَشَمُ. ثُمَّ جَلَسُوا إِلَى مَأْدُبَةٍ جَمَعَتْ أَلَذَّ ٱلْأَطْعِمَةِ وَٱلْأَشْرِبَةِ. ثُمَّ قَالَتِ ٱلْأَمِيرَةُ لِلْمَلِكِ، نُرِيدُ يَا أَبِي أَنْ نَتَزَوَّجَ. فَبَارَكَهُمَا ٱلْمَلِكُ، وَٱحْتَفَلَ بِزَوَاجِهِمَا ٱحْتِفَالًا عَظِيمًا. ثُمَّ دَعَا «ٱلْأَسْعَدُ» أَخَوَيْهِ إِلَيْهِ وَجَعَلَهُمَا مِنْ رِجَالِ ٱلْبَلَاطِ. أَمَّا ٱلْهِرُّ «مِيشُو» فَعَيَّنَهُ رَئِيسًا لِلصَّيَّادِينَ. فَكَانَتْ مَائِدَةُ ٱلْعَرُوسَيْنِ لَا تَخْلُو أَبَدًا مِنَ ٱلدَّجَاجِ ٱلْبَرِّيَّةِ وَٱلْحَجَالِ وَٱلْأَرَانِبِ.



مجموعة قوس الغمام

١٠

منشورات المكتبة البولسية
شارع لبنان - بيروت - ص.ب: ٤٤٥٩-١١ لبنان
هاتف: ٤٤٤٩٧٣ - ٤٤٨٨٠٦ - ٤٤٩٨٠١
شارع القديس بولس - جونيه - ص.ب: ١٢٥ لبنان
هاتف: ٩١١٥٦١ - ٩٣٣٠٥٢